وجهة نظر

بقلم: عدنان بدر

الأزمة الراهنة لحركة المقاومة

وجودها . أسبابها . ابعادها وكيفية الخروج منها..

ليس هنالك من خلاف حول ان حركة المقاومة بشكل خاص وحركة التحرر العربي بشكل عام ، تواجهان مرحلة بالغة الخطورة ، في الوقت الذي تعيشان فيه ضمن مجموعة من الازمات الذاتية الحادة على كل صعيد ... وان هذا الوضع : الاخطار الموضوعية المادية والسياسية ، والاخطار الذاتية بين المنظمات وداخل كل منظمة ، يحدث في وقت بدات فيه موجة من الياس والانفكاك الشعبي من حول هذه الحركة ... حتى ان الازمة اتسعت الى حد صارت معه ازمة الانسان العربي اينما وجد .

وطبيعي من جهة اخرى ، ان وضعا من هذا النوع ، يضعنا دونما شك ، في مواجهة العديد من التساؤلات التي يبرز في مقدمتها التساؤل عن الاسباب الحقيقية لمثل هذه الازمة الحادة، وكيفيه حدوثها .. ثم يتلوه التساؤل عن كيفية مواجهتها والخروج منها .. وبين هذا التساؤل وذاك يقف التساؤل عن المسؤوليات .. المسؤولية عن الازمة ... والمسؤولية عن مواجهتها ، والمسؤولية عن الخروج منها ..

وهل يستطيع مقال ان يواجه مثل هذا الموضوع الحساس والشائك والمعقد والذي يحتاج فعلا الى مجموعة من البحوث والدراسات المصاحبة لعملية ممارسة قاسية لا يتمكن منها الا تنظيم ثوري سليم وقادر فعلا على التقدم ضمن هذا الوضع ؟ ان الحقيقة التي لا بد من الاقرار بها في هذه المقدمة ، وهو ان مقالا من هذا النوع لن يفي هذا الموضوع الهام حقه من الدراسة والايضاح ، وان اقصى ما نهدف اليه بالتالي هو لفت النظر الى صلب الازمة ، والتوجه نحو مواجهة عقدها الاساسية .

اولا ـ الازمة على الصعيد الموضوعي :

من نافل القول ، ان يعود المرء مرات اخرى الى تحديد معسكر العدو الذي تواجهه حركة المقاومة بشكل خاص وحركة التحرر العربي بشكل عام ، وتناول هذا المعسكر بشكل وصفي وتقريري، كان نقول ان اعداءنا هم الامبريالية العالمية ، والصهيونية واسرائيل والرجعية العربية ، فمثل هذا التحديد غدا حقيقة واضحة كالشمس في رابعة النهار ... انما الامر الذي يحتاج الى توضيح في هذا النطاق هو آلية فعل القوى المعيقة للحركة ، وقبل ذلك صيرورتها قوى معيقة في الاساس .

ان اقرارنا او عدم اقرارنا ـ على اهميته ـ بان هذا النظام او ذاك ، وهذه القوة السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية ، او تلك ، هي قوة رجعية معادية لحركة التحرر ، ان اقرارنا بذلك او عدم اقرارنا به ـ وتكرارا على اهميته ـ لا يغير من حقيقة الواقع شيئا ... فالواقع موجود قبل اقرارنا به ـ وتكرارا على اهميته ـ لا يغير من حقيقة الواقع شيئا ... فالواقع موجود قبل اقرارنا به وبعده وبمعزل عنه .. والجماهير الفلسطينية والعربية ـ وعلى سبيل المثال ـ صارت واعية تمام الوعي من خلال التجربة وبمعزل عن كل الاقوال والتحليلات ، ان الانظمة العربية بشقيها الرجعي القديم والعسكري العاجز هي قوى يتراوح موقعها بين القوى المعادية والقوى المعيقة لحركة التحرر ..

وهنا ياتي دور اقرار حركة المقاومة وحركة التحرر ، بهذا الواقع او عدم اقرارها به ... فالاقرار به علنا هو المدخل الى ثقة الجماهير ، انه يضع امام الجماهير حقيقة طليعية كهذه الحركة ووعيها للواقع الذي تعيشه الجماهير وتعاني منه ، وبالتالي يحقق اول ما يجب تحقيقه عن طريق اكتساب ثقة الجماهير واقتناعها بان طريق هذه الحركة هو طريقها نحو حسم قضايا الجماهير وتحقيق اهدافها وطموحاتها ... بينما يفعل عدم الاقرار فعلا معاكسا وبصورة مباشرة جدا ، اذ انه يكون اول اسفين يدق في جدار التلاحم بين الجماهير والحركة ، واول عائق لعملية الالتفاف الجماهيري من حولها . .

ومرة اخرى هنا نجد ضرورة للرجوع الى الامثلة الماخوذة من تجربة المقاومة الفلسطينية ذاتها ... عندما اطلقت المقاومة رصاصاتها الاولى قبل هزيمة حزيران وكانت يومها اضعف واقل مما هي عليه الان ، لماذا خلقت من حولها التفافا جماهيريا فلسطينيا وعربيا يكاد يصل حدود الاجماع ، على عكس ما هو حاصل الان ؟

ان تلك الرصاصات الاولى كانت الاعلان عن ولادة القوة البديلة لكل السياسات والممارسات التي كانت تقوم بها الانظمة العربية حتى ذلك الوقت والتي كانت ثقة الجماهير بها تتضاءل يوما بعد يوم ... ان تلك الرصاصات الاولى كانت الاقرار المعلن من قبل المقاومة كقوة طليعية، بعجز الانظمة والاساليب السابقة وبمراوغتها و « متاجرتها » بالقضية المصيرية الاولى التي هي قضية فلسطين ... وعلى الاقل هذا ما فهمته الجماهير في ذلك الوقت من تلك الرصاصات التاريخية .

القيادة البرجوازيه الصغيره لحركة التحرر العربي :

لقد كانت القيادة البرجوازية الصغيرة لحركة التحرر العربي ، لا سيما الجناح العسكري الحاكم منها قد قطعت ذلك الحين شوطا كبيرا في استنفاذ طاقاتها للتحرك الى الامام ، وبدات تعجز عن المتابعة فتتحايل على الجماهير المفقودة ، وتخادعها ، وتدخل دهاليز التهادن مع العدو الامبريالي والرجعي والتساوم معه ... وكان حس الجماهير بهذه الحقائق ينمو وينمو بدون ان توجد القوة الطليعية المتقدمة القادرة على التعبير عن ذلك الحس والاندفاع به الى الامام ، اي الاندفاع به خارج دوامة العجز والمخادعة والمهادنة والمساومة التي كانت قد وقفت فيها القيادة البرجوازية الصغيرة لحركة التحرر ولا سيما جناحها العسكري الحاكم ...

وهنا بالضبط ، كانت الرصاصات التاريخية المذكورة ، تعبيرا عن ولادة تلك القوة الطليعية المتقدمة في معسكر حركة التحرر ... ذلك المعسكر الذي كانت قد بدات تنضاف الى اعدائه التقليديين قوى جديدة هي بالضبط القيادات البرجوازية الصغيرة ، لا سيما الجناح العسكري الحاكم في بعض اقطار الوطن العربي ... هذا « الانضياف » الذي وصل الى درجة صيرورة تلك القوى الجديدة الادوات التي بدأ الاعداء التقليديون يختبئون وراءها ويتسترون بها في حال اقدامهم على اية خطوة تصفوية مادية صريحة ...

ومع ان هذه العملية ، هي حقيقية واقعة تعرفها جماهيرنا ونحس بها بشكل عميق واليم ، فاننا ـ مع الاسف ـ نجد انفسنا مضطرين الى توضيحها ، لان مماحكين كثر ، وفي صفوف قيادية من حركة الطليعة ما يزالون يجدون مصالح كثيرة في نكرانهم لها ، ليس لفظيا وحسب ، وانما على صعيد الممارسة ، رغم الاخطار الناجمة عن ذلك النكران ... والتي لعبت وتلعب دورا جوهريا في الازمة الحادة الراهنة .

المواجهة مع العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي ، في السبعينات ، بدأت تتطلب من حركة التحرر العربي بناءا جماهيريا ثوريا منظما ، قادرا على تعبئة الجماهير تعبئة معنوية ومادية تؤهلها لخوض المعركة الطويلة النفس وبجميع وسائل النضال بما فيها الكفاح الشعبي المسلح.. ومثل هذه المهمة كانت القيادات الحاكمة والمهيمنة على حركة التحرر لالف سبب وسبب، اهمها بنيتها العسكرية الفوقية ، ومرتكزاتها المباحثية المناقضة للمناخ الديمقراطي الشعبي، كانت تلك القيادات عاجزة عن النهوض بها ... وهي في الوقت نفسه غير قادرة على التخلي عن مصالحها وبالتالي عن تدعيم وجودها في قمة السلطة ـ الامر الذي جعلها حريصة كل الحرص على محاربة ولادة القوة المتقدمة عنها والمؤهلة لتحقيق تلك المهمة ، واعتبار تلك القوة خطرا تاريخيا على بقاء تلك القوى في السلطة واستمرارها في حماية مصالحها وتطويرها وتدعيمها ... وان وضعا من هذا النوع ، هو بالضبط وضع تحول قوة ما من قوة تقدمية الى قوة رجعية ... انه نموذج ذلك التحول... فالقوة الرجعية او بشكل ادق ، الطبقة الرجعية هي الطبقة التي تصطدم مصالحها بحركة التقدم ، وبالتالي تتحول الى عائق في وجه ذلك التقدم ...

وهنا ، ليس من سبيل المصادفة او « الحنكة والذكاء » ان تقوم تلك الانظمة بعد هزيمتها في حزيران بمهادنة الرجعية العربية مهادنة شاملة وكلية ، وان تدخل طرفا رئيسيا في العمل للوصول الى حل سلمي مع الامبريالية والصهيونية واسرائيل ، وان تزيد من قمعها الداخلي للتحركات الجماهيرية ، بل وان تقوم بخطوات داخلية اقتصادية وسياسية لمصلحة القوى اليمينية والمحافظة ... وان تكون القوى التي شكلت التغطية السياسية والاعلامية للرجعية التي لعبت دور اداة التنفيذ في تصفية حركة المقاومة الفلسطينية ... ان هذا كله ، ليس صدفة وليس وليد مزاجات شخصية تلعب دورا في توجيه اعمال هذا القائد او ذاك ، انما هي الخط السياسي الناجم عن بدء هذه القوى تدريجيا ، بالتحول الى قوى رجعية موضوعيا.

ان هذه الممارسات التي شكلت السياسة العملية لهذه الانظمة ، كثيرا ما غلفت ديماغوجيا بصراعات سياسية مصطنعة « او على الاقل غير اساسية » ومعلنة بين هذا النظام العربي او ذاك ـ لتضليل الجماهير وارباكها وايقاعها في حيرة من امرها ، غير قادرة على اتخاذ موقف بين قوى رجعية جديدة لها طابع وطني لكنها عمليا معادية لتقدم حركة الجماهير ، وبين قوى رجعية تقليديا هي اكثر عداء بالاساس لحركة الجماهير ... والامثلة على هذه « التناقضات » وفيرة جدا في واقعنا العربي .

وثانية ايضا ، كانت الرصاصات الاولى للمقاومة ، الايذان بولادة القوة التي تخرج الجماهير من حيرتها وتضعها وجها لوجه امام حقيقة احاسيسها العفوية بان كتلتين متنافرتين قد اصبحتا قائمتين في الوطن العربي ، كتلة الجماهير صاحبة المصلحة في السير بالمعركة ضد الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية العربية ، الى نهايتها الحاسمة واعتماد الاساليب التنظيمية والنضالية التي تمكن الجماهير من الظفر في مثل هذه المعركة الحاسمة ... وكتلة القوى صاحبة المصلحة في ايقاف المعركة عند حدود الانظمة البيروقراطية المبرجزة والعاجزة والمتراجعة حتى حدود التهاون والتساوم مع العدو الرئيسي وحول القضايا الاساسية ... وهذه الكتلة الثانية هي التي كان يزداد التحالف بين قواها وتتقدم عملية التنسيق بين اطرافها خلال السنوات الاربع الماضية ، حتى وصلت الى ما هي عليه في هذه الفترة ، حيث اشتد وضوح هذه العملية امام اعين الجماهير وفي احاسيسها ، بشكل لم يحدث مثله قبلا ...

ثانيا ـ الازمة على الصعيد الذاتي :

ان الانتفاض على اي واقع يتطلب اول ما يتطلب والى جانب وجود قوى ، موضوعيا ، متناقضة المصالح مع هذا الواقع تشكل مادة الانتفاضة ، يتطلب فهم ذلك الواقع ومعرفة كل العوامل والعناصر الفاعلة فيه بشتى اتجاهاتها وتاثيراتها.. وعلى هذا الاساس يلعب الفكر الذي تتسلح به الطليعة المنتفضة دورا هاما لا يقل عن دور الصلة الطبقية بين هذه الطليعة وبين القوى الاجتماعية التي تشكل مادة الانتفاضة . . وهنا لا بد من استدراك اساسي هو ان حدوث الانتفاضة لا يتوقف على وجود او عدم وجود الفكر الثوري، وذلك لان الانتفاضة تنجم عن واقع موضوعي وظروف موضوعية ... انما تاثير الفكر الثوري يكون في توجيه الانتفاضة وتنمية قواها الذاتية ، وهنا بالضبط تكمن اهميته ...

وحركة المقاومة كما هو واضح بشكل كبير، وليدة ظروف موضوعية ناضجة ... ناضجة الى حدود انها انطلقت دون تدخل حزب (منشط... مفجر ... الخ) الا انها ولهذا السبب بالذات افتقدت منذ البداية السلاح النظري الذي يمكنها من فهم الواقع الموجودة ضمنه فهما علميا سليما ومعرفة مجموع العوامل والعناصر التي تكون ذلك الواقع وتفعل فيه بشتى الاتجاهات .

ولان تطور العالم قد وصل مرحلة معينة يلعب دورا مؤثرا في تحديد ادوار القوى الطبقية خاصة في البلدان المتخلفة (استكمال تحول الراسمالية الى امبريالية عالمية ، وبداية انهيارها الامر الذي يجعلها اكثر فاشية ، تبعية الراسمالية المحلية (الكومبرادور) لتلك الامبريالية وتخليها عن دورها الديمقراطي التصنيعي الوطني ... عجز البرجوازية الصغيرة عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية غير المنفصلة عن الصيرورة ثورة اشتراكية) ولكل ذلك سقطت كل النظريات الاجتماعية التي تتصدى للعب دور السلاح النظري المرشد ، واصبحت الماركسية ـ اللينينية هي نظرية الثورة الوطنية الديمقراطية تماما كما هي نظرية الثورة البروليتارية الاشتراكية . (وبالطبع لا بد من التاكيد هنا على ان الماركسية اللينينية ليست شعارا سياسيا يخضع للمزايدات ، كما انها ليست في الوقت نفسه عقدة دوغمائية جامدة ، وقابلة للتعامل معها على اساس كهنوتي متحجر) ... وهي في الوقت نفسه تتميز عن مجموع النظريات الاجتماعية التي تحاول تفسير الواقع ، بكونها غير قابلة للانفصال عن الممارسة العملية لتغيير الواقع ، والا تغدو غير فاعلة ، وتسقط الحاجة اليها بالضبط كما تسقط صفتها الثورية ...

لقد كان على طلائع حركة المقاومة ان تتسلح بالفكر الماركسي ـ اللينيني كفكر الطبقة الثورية القادرة على قيادة التحالف الوطني ضمن الظروف الفلسطينية والعربية والدولية الراهنة، وان تبني اشكالا تنظيمية وتمارس اساليب عمل ونضال بمستوى ذلك الفكر المتقدم الذي يشكل سلاحها في عملية تحليل الواقع وفهمه والتصدي لتغييره ...

الا ان طلائع المقاومة بقيادة البرجوازية الفلسطينية الوسطى والصغيرة ، وفي مرحلة غاب فيها دور الحزب السياسي (لاسباب ليس المجال هنا لشرحها رغم اهمية ذلك) لم تكن في هذا المستوى ... فعجزت عن التسلح بالفكر الذي يؤهلها لفهم ابعاد المعركة وطبيعتها ، وعن اكتشاف القوى المعادية والقوى الحليفة اكتشافا دقيقا ، وعن تنظيم تلك القوى الحليفة (قوى الثورة) ومن ارقى اشكال التنظيم لممارسة ارقى اشكال النضال وفي ظل قيادة خط سياسي ثوري حاسم ...

انها لم تستطع ان تكتشف في انتفاضتها هي، ما رأته الجماهير فيها والتفت حولها على اساسه، فلم تع انها طليعة معسكر الجماهير الفلسطينية والعربية في مواجهة الاعداء التقليديين والجدد فتمارس دور تلك الطليعة بشكل صحيح وثوري (يلاحظ في هذا المجال الشعارات والممارسات التي عبرت عن شعور بالتفوق على مجمل الحركات الشعبية العربية الذي بلغ حدود التجاهل والابتذال في البداية وكيفية انقلابها فيما بعد الى النقيض ، الى الوقوف خلف متراس ان الثورة الفلسطينية ليست بديلا عن حركة التحرر العربي وعليه فليس مطلوبا منها التصدي للاوضاع العربية ، وكيف ان النقيضين بررا سياسة عدم التصادم مع الاوضاع الرسمية العربية) .

ان افتقادها لهذا الوعي وهذه الاهلية سرعان ما دفعها للسقوط في شبكة التناقضات الثانوية، المصطنعة باكثرها ، والمشار اليها فيما تقدم .

فبدلا من ان تراهن على التناقض بين الجماهير والانظمة الامر الذي يكلفها القيام بمسؤوليات الطليعة الثورية في مرحلة كمثل هذه المرحلة من حيث حدتها وتعقيدها ، لكنه في الوقت نفسه يعطيها القوة الحقيقية وغير المحدودة لهذه الطليعة ، بدلا من ذلك انزلقت الى المراهنة على هذا الجانب او ذاك ضمن حلف الانظمة العربية « المتماسك » . الى درجة السقوط احيانا في مواقف استخدمت من قبل هذا النظام او ذاك في معركته مع الجماهير في قطره .

وطبيعي امام قوة من هذا النوع ، هي موضوعيا قيادة المرحلة الجديدة وبالتالي التناقض بينها وبين القوى المهيمنة على المرحلة الماضية هو تناقض يحتاج الى الحسم ، وهي ذاتيا غير مؤهلة لهذا الدور ، طبيعي ان تكتشف الانظمة هذه الفجوة القائلة في تركيب تلك القوة فتحاول النفاذ منها واستخدامها في الدفاع عن وجودها الشديد الاضطراب والاهتزاز لا سيما مباشرة بعد هزيمتها في حزيران ١٩٦٧ ..

واول ما تمكنت الانظمة من تحقيقه في هذا النطاق ، هو الفصل عمليا ونظريا بين حركة المقاومة « الفلسطينية » وبين الجماهير العربية، في عقل وممارسات قيادة حركة المقاومة . وكان ان تخلت تلك القيادة عن دورها الطليعي في حركة التحرر العربي وضحت به على مذبح مراهناتها ومساوماتها و « استفاداتها » من الانظمة ...

هذه التضحية دفعت بقيادة المقاومة ـ وطبعا مع مساهمة الانظمة التي راقبت العملية بذكاء وتدخلت فيها ـ الى اعتبار الاوضاع العربية ، على تفاوتها من مكان لاخر ، اوضاعا محايدة في المعركة مما جعلها لا ترى خطرا في بناء وجودها على الارض العربية وفق اساليب واشكال علنية ومستقلة عن الجماهير العربية استقلالا خلق فوارق كبيرة بين اوضاع المقاومة واوضاع تلك الجماهير ... (للمقاومة في البداية حرية العمل والتواجد والتحرك والتسلح مصاحبة بالامتيازات المادية والمعنوية ، في الوقت الذي تتعرض فيه الجماهير العربية لاقسى انواع القمع والكبت والحرمان) مع كل ما يرافق ذلك من سلوكيات ـ لا سيما في غياب التنظيم الثوري الواعي ـ لها في كثير من الاحيان مردودات وانعكاسات غير صحية .

وهذه التضحية (الانحراف) لعبت دورا اساسيا في تقليص ثقة الجماهير ، ليس العربية وحسب وانما ايضا الفلسطينية في حقيقة قدرة هذه القيادة وبالتالي هذه الحركة ، على ممارسة دور الطليعة الثورية ضمن المعركة الراهنة الشديدة الحدة والخطورة .

وعملية تقلص الثقة هذه تقع مسؤوليتها على عاتق قيادة حركة المقاومة ومن عدة جوانب :

□ اولا : تخلي قيادة المقاومة عمليا عما اوحى للجماهير بالثقة في البداية وهو انها قيادة المرحلة الجديدة ، البديلة عن القيادات العاجزة والمنهزمة والمتراجعة حتى حدود التهاون والتساوم.

□ ثانيا : ممارستها (القطرية) التي شكلت شرخا في القناعة (المسلمة) لدى الجماهير بان المعركة ليست حركة الجماهير الفلسطينية وحدها ، كما ان الجماهير الفلسطينية ، حتى ولو كانت المعركة كذلك ، غير قادرة وحدها على حسمها ...

□ ثالثا : دخول تلك القيادة في ممارسات ومواقف سياسية راح يقل اختلافها شيئا فشيئا ـ خاصة على الصعيد العربي ـ عن ممارسات الانظمة التي كانت ثقة الجماهير بها قد وصلت ادنى درجاتها لا سيما بعد ان وصلت بها تلك الممارسات الى هزيمة حزيران . .

□ رابعا : اتجاهها حتى على الصعيد الفلسطيني نحو تشكيل مقدمات نظام عسكري برجوازي صغير بيروقراطي مشابه في بنائه واساليب عمله لبناء الانظمة العربية ، واوضح مثال على هذه العملية ، او على هذا الجانب، هو تقمص منظمة التحرير التي كانت قد ولدتها مؤتمرات القمة لقطع الطريق على حركة المقاومة وكاسفنجة لامتصاص حالة المقاومة الموضوعية التي كانت قد بدأت في النصف الاول من الستينات .

التعدد والتشرذم :

اذا كانت القيادة المهيمنة على المقاومة قد دخلت ـ بعفويتها ـ في دوامة هذه الممارسات ، فان دخولها هذا قد شكل مبررا موضوعيا لولادة ونمو منظمات اخرى في حركة المقاومة على « امل » تعبئة هذا الفراغ و « تقويم » هذا الانحراف... وهذه الظاهرة ـ النتيجة ـ لم تغب عن انظار الانظمة العربية فشجعتها ونشطت الانقسامات الناجمة عنها ، كما استعملتها كمنفذ الى داخل المقاومة وتشكيل امتدادات ضمنها . .

وعلى هذا الاساس يكون التعدد حصيلة ظرفين، موضوعي وذاتي .. الظرف الموضوعي هو وجود اكبر من طبقة في الثورة من جهة (لاكثر من طبقة مصلحة في الثورة الوطنية الديمقراطية) ومن جهة اخرى تخلي القيادات الاولى عن جانب اساسي من دورها ومهمتها ... والظرف الذاتي هو التدخل والتاثير من قبل الانظمة العربية وما مارسته من تنشيط للجوانب السلبية في ظاهرة التعدد ...

هذان الظرفان وهذه العوامل ادت الى نشوء عدد من المنظمات بعضها « حاول » سد الثغرة التي خلقها تخلي القيادات الاولى عن البعد القومي للمعركة ، وبعضها « حاول » سد الثغرة التي خلقها اغفال البعد الطبقي ، وبعضها حاول سد الثغرتين على اعتبار انهما ثغرة واحدة.

والى جانب هذا وهذاك « نشات » منظمات بدون ان يكون لها اي مبرر (؟؟) . اما امتدادات الانظمة التي اتخذت من تخلي القيادات الاولى عن جوانب من مهمّاتها ، مبررا للتواجد فما لبثت ان توجهت نحو التحالف مع تلك القيادات وعاشت ضمن اطر نظرية وعملية لا تختلف كثيرا عن حليفتها ...

يسار المقاومه :

الا ان المنظمات التي اتجهت نحو اليسار واجهت ظروفا موضوعية وذاتية معيقة ، بشكل لم يمكنها ـ على الاقل خلال الفترة المنصرمة ـ من التقدم كبديل فعلي عن القيادات الاولى ...

موضوعيا ، كانت المنظمات الاولى قد سبقتها على طريق تشكيل حالة معينة فرضت جوا من التعاطف الجماهيري ولكنها في الوقت نفسه « افسدته » الى حد ما من خلال تثبيت اساليب للعمل فيه ادى الى نمو امتيازات مادية ومعنوية صار من الصعب مقاومتها ، خاصة خلال فترة محددة ... كما ان هذا السبق وبمساعدة الانظمة العربية ادى الى ربط تلك الاساليب « بالشرعية الفدائية » التي وجد اليسار نفسه مضطرا « للعمل » على اكسابها (يذكر في هذا السياق ان اعتقال قادة من الجبهة الشعبية في سوريا عام ١٩٦٨ ، لم يخلق شعورا عاما بان المعتقلين هم قادة في العمل الفدائي) .

اما ذاتيا ... فان ذلك اليسار لم يكن قد قطع بعد شوطا كبيرا في تحوله نحو اليسار وانتقاله بكل معنى الكلمة من صفوف البرجوازية الصغيرة ذات الفكر القومي الوطني المحض ، الى الصفوف البروليتارية ذات الفكر العلمي قوميا وطبقيا واممياً .. كما انه كان يفتقر الى تجربة حزبية يسارية (ماركسية ـ لينينية) طويلة تراكم عبرها الخبرات العملية والتنظيمية والفكرية ، وتنمو خلالها الكوادر الكافية للقيام بالمهمات التي تقتضيها مثل هذه التجربة الحادة. وهذا العامل ادى الى تميز ذلك اليسار بالتردد في حسم الامور حسما ثوريا واعيا نتيجة لفقدان ثقته بتجربته اليسارية ونضوجها ، وتمثل هذا التردد في الخوف من الارتداد اليميني والخوف من الطفولة اليسارية ... وعلى هذا الاساس عجز هذا اليسار عن احداث تغيير حاسم في واقع وجو واساليب عمل القيادات المهيمنة على العمل الوطني الفلسطيني .. كما ادى عمليا الى انشقاق الجبهة الشعبية انشقاقا مرضيا شكل سلاحا من اسلحة القيادات السابقة للابقاء على موقعها في قيادة حركة المقاومة ...

لماذا « مرضية » الانشقاق ؟

لان الاسس التنظيمية والفكرية اليسارية لم تكن قد رست دعائمها بعد في الجبهة ، فكان التقدم اليساري غير متجانس ، بعد ، اي لم يتواز الاستقطاب الفكري مع الاستقطاب الطبقي داخل الجبهة ... والمثال الذي يوضح ذلك هو ان الذين انشقوا وادعوا تمثيل اليسار فكريا هم طبقيا المادة الاكثر برجوازية في الجبهة وفي حركة القوميين العرب (جاء في بيان الانشقاق ان الذين انشقوا هم اكثرية فرع حركة القوميين في لبنان وكذلك في سوريا والعراق ، وكل المجال الخارجي واقلية الفرع الفلسطيني) مع العلم ان الفرع الفلسطيني من حيث البنية الطبقية هو الفرع الذي تعلو فيه كثيرا نسبة البروليتاريين والمعدمين عن اي فرع اخر ، خاصة بعد دخول حركة القوميين العرب ميدان الكفاح المسلح ...

الوحدة الوطنيه وازمة العجز :

انطلاقا من كل ما تقدم نجد ان قيادات المقاومة بمجموعها قد عجزت عمليا عن القيام بدورها ـ رغم الفوارق والتفاوت ـ :

ـ القيادات الاولى عجزت عن جعل المقاومة طليعة حركة الجماهير العربية ، الامر الذي شرحناه تفصيلا فيما تقدم ...

ـ والقيادات اليسارية الجديدة عجزت عن تشكيل البديل العملي للقيادات الاولى الذي يسد الثغرات التي تركتها القيادات الاولى ويقوم انحرافها .

اما القيادات الاخرى للمنظمات غير المبررة وجودها ، فلم يكن لها دور تاريخي اصلا . .

وهذا العجز .. اضيف اليه عجز هذه القيادات عن تحليل اسبابه بشكل علمي وتوضيحها للجماهير ، الامر الذي دفعها عن وعي او بدون وعي ، الى تغطيته برد اسبابه لظاهرة التعدد والتشرذم ، وبالتالي الى رمي كل الاثقال على ظهر الوحدة الوطنية غير المتوفرة ... مع ان الاسباب الحقيقية لعدم توفر الوحدة الوطنية هي الاسباب ذاتها التي نجم عنها العجز ومن ثم التشرذم ، وبدون مواجهة تلك الاسباب بشكل ثوري وجذري وحاسم ، يصبح الحديث عن الوحدة الوطنية حديثا مقطوع الجذور ، مهما كان